في عقر دار هرتزل.. مؤتمر يهودي ضد إسرائيل والصهيونية

يوليو 13 2025 إسراء عبدالمطلب

في مدينة وُلدت فيها الصهيونية، وتحديدًا في قلب فيينا حيث سطّر تيودور هرتزل أولى أفكاره حول إقامة دولة يهودية، اجتمع مئات اليهود والنشطاء من مختلف أنحاء العالم.

وذلك الاجتماع لم يكن للدعوة إلى مزيد من الدعم لإسرائيل، بل لرفض المشروع الصهيوني برمّته، ولإعادة تعريف العلاقة بين اليهودية والهوية القومية.

المؤتمر اليهودي المناهض للصهيونية

حسب موقع ذا ورلد، 19 يونيو 2025، خلال عطلة نهاية الأسبوع في منتصف يونيو، احتشد قرابة 500 شخص في العاصمة النمساوية فيينا للمشاركة في أول مؤتمر يهودي مناهض للصهيونية تنظمه المدينة، حمل الحضور لافتات باللغتين الألمانية والإنجليزية كُتب عليها شعارات واضحة: "أوقفوا الصهيونية"، "اليهودية ليست صهيونية"، و"لن تتكرر أبدًا لأي أحد"، في إشارة مزدوجة إلى ذكرى المحرقة ومعاناة الفلسطينيين المعاصرة.

وجاء المشاركون من خلفيات وجنسيات متعددة، بينهم إسرائيليون، يهود أمريكيون وأوروبيون، ونشطاء، وأكاديميون، وحلفاء للقضية الفلسطينية، اجتمعوا في المدينة التي شهدت ميلاد الفكرة الصهيونية على يد الصحفي والكاتب اليهودي تيودور هرتزل، الذي نشر في عام 1896 كتابه الشهير "الدولة اليهودية"، مؤسسًا لما يُعرف اليوم بالحركة الصهيونية القومية العلمانية.

تاريخ رمزي ومعارضة متجذّرة

تُخلد لوحة تذكارية في أحد أزقة الحي الأول بفيينا هرتزل بوصفه "صاحب الفكرة الجريئة لتأسيس دولة إسرائيل"، لكن من نفس هذه المدينة، وتحت ظلال تاريخها، ينهض اليوم تيار يهودي جديد يرفض الربط بين الدين والسيادة القومية.

وفي حديثه خلال المؤتمر، استعرض أستاذ التاريخ بجامعة مونتريال، الدكتور يافوف رابكين، تاريخ المعارضة اليهودية للصهيونية منذ بداياتها، مؤكدًا أنها واجهت ثلاثة أشكال من الرفض داخل المجتمعات اليهودية:

- **أولاً:** من المتدينين الرافضين لفكرة العودة إلى فلسطين قبل مجيء المسيح.
- **ثانيًا:** من اليهود الذين اندمجوا في المجتمعات الأوروبية ولم يرغبوا في تكريس فكرة عدم الانتماء.
- **ثالثًا:** من الحركات اليسارية التي رأت في الصهيونية محاولة لصرف الانتباه عن الصراع الطبقي.

ورغم أن هذه المعارضة تراجعت بعد المحرقة، وخاصة في أوساط اليهود الأوروبيين، إلا أن رابكين يرى أن جيل اليوم من اليهود الشباب – لا سيما في الولايات المتحدة – يعيد النظر في الصهيونية، انطلاقًا من رفضهم للقومية العرقية، والفصل العنصري، والتفوق القومي، وهي القيم التي يعتبرون أن إسرائيل تجسدها بشكل صارخ.

تجارب شخصية تهزّ القناعة الصهيونية

من بين الأصوات البارزة التي تحدثت في المؤتمر، إحدى المنظمات الرئيسيات للفعالية، داليا ساريج، والتي روت كيف نشأت على فكرة الصهيونية، وانتقلت للعيش في إسرائيل وهي في الثامنة عشرة من عمرها، قبل أن تعود لاحقًا إلى النمسا وقد تخلّت عن تلك الأيديولوجيا.

وتحوُّلها الشخصي بدأ من خلال محادثات مع أستاذ فلسطيني في جامعة حيفا، تحدث إليها عن تهجير عائلته من قريتها الفلسطينية، وتقول ساريج: "بدأت أفكر في شعوره كفلسطيني يعيش في دولة تعرّف نفسها كدولة لليهود فقط.. لقد أدركت كم أن الأمر عنصري في جوهره".

مخاوف أمنية وتحديات سياسية

حرص المنظمون على إبقاء موقع المؤتمر سريًا حتى قبل أيام قليلة من انعقاده، تحسبًا من ردود أفعال عنيفة، وسبق أن قوبلت فعاليات تضامنية مع فلسطين في فيينا بمضايقات ورفض من الجماعات الصهيونية والجهات الرسمية التي تمثل الجالية اليهودية في النمسا وألمانيا.

وعلى الرغم من عدم حدوث مواجهات واسعة النطاق، ظهرت سيارة فولكس فاجن تحمل أعلام إسرائيل والليكود في محيط المؤتمر، وصرحت إحدى راكباتها، وتُدعى صوفيا، بأن "معاداة الصهيونية تعادل معاداة السامية"، وهو رأي شائع بين مؤيدي إسرائيل.

ولكن المشاركين في المؤتمر رفضوا هذا الطرح، مؤكدين أن انتقاد الصهيونية لا يعني معاداة اليهود، بل الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني، ومناهضة نظام تسبب في قتل مئات الآلاف وتشريد الملايين باسم "أمن اليهود".

انقسام متزايد داخل المجتمعات اليهودية

يعكس هذا المؤتمر حالة الانقسام المتنامية داخل المجتمعات اليهودية حول العالم بشأن العلاقة مع إسرائيل، ولم تعد الخلافات محصورة في السياسات الإسرائيلية تجاه غزة أو الضفة الغربية، بل تجاوزت ذلك إلى نقاش أعمق حول فكرة "الدولة اليهودية" نفسها.

ويقول منظمو المؤتمر إنهم لا يسعون فقط إلى معارضة الاحتلال أو نقد سياسات الحكومة الإسرائيلية، بل إلى تفكيك الأسس الأيديولوجية التي بُنيت عليها دولة إسرائيل، بوصفها مشروعًا استعمارياً قائمًا على القومية العرقية.

من المولد إلى الرفض

في فيينا، حيث وُلدت الصهيونية الحديثة، تعالت أصوات جديدة لليهود ترفض إرثها وتدعوا إلى تفكيك ارتباط اليهودية بالدولة القومية، يجادل المشاركون في هذا المؤتمر بأن أمن اليهود لا يتحقق عبر جدران الفصل والاحتلال، بل من خلال العدالة والتضامن الإنساني.

وفي ذات المدينة التي حلم فيها هرتزل بدولة "تحمي اليهود"، جاء أحفاد فكرٍ آخر، يرون في هذا الحلم كابوسًا لآخرين. كأن التاريخ يدور دورته، لكن هذه المرة، بلغة رفض صريحة، تقول: "اليهودية ليست صهيونية.. ولن تتكرر أبدًا لأي أحد".